



+ آباؤنا القديسون

الشهيد يوستينوس

تُعيد الكنيسة المقدسة في الأول من حزيران لتذكار القديس الشهيد يوستينوس الفيلسوف الذي لم يحسب علومه الفلسفية كشيء أمام الحق الذي وجدته في الرب يسوع، ولم ييخل بجسده هدية على مذبح الرب.

ولد القديس يوستينوس في أوائل القرن الثاني في مدينة شكيم (نابلس) في السامرة من والدين وثنيين. تلقى مختلف علوم الدنيا وبرع فيها، وكان لديه توق دائم لمعرفة الحق والخير الأعظم، فأخذ يغوص في الفلسفة متنقلاً بين مختلف التيارات الفلسفية، لكنه تعمق في الفلسفة الأفلاطونية، وصار يعتز بنفسه انه بلغ معرفة الحق في فترة وجيزة.

لكن مقاصد الله غير مقاصد البشر. فيما كان يوستينوس يسير على شاطئ البحر متفكراً في الأشياء السامية ظهر له بغتة ملاك بهيئة شيخ جليل وشرع يكلمه مرهناً له حقيقة الإيمان بالمسيح، وان الفلسفة الحقيقية هي معرفة الله. وحثه الشيخ على قراءة كتب الأنبياء الذين كشفوا الأسرار الإلهية وخاصة تجسد ابن الله.

انكب يوستينوس على قراءة الكتاب المقدس وتأكد من الحقائق الإلهية، واعتنق المسيحية واقتبل المعمودية نحو سنة ١٣٣ وكان في الثلاثين من عمره. من أقواله أن أحد البراهين على صحة المسيحية شجاعة المسيحيين واندفاعهم نحو الشهادة دون خوف، وزهدهم بأمور هذه الدنيا الفانية.

كان يواظب على قراءة الكتاب والصلاة والتأمل إضافة إلى سيرة نسكية. سيم كاهناً فكان كالسراج على المنارة، يرشد الضالين ويدافع عن المؤمنين أمام اليهود والوثنيين. كما اعتبر ان معرفته للكتاب هي نعمة من الله يجب أن يوظفها في نقل الكلمة للمؤمنين والدفاع عنهم حتى لو قاده الأمر إلى الاستشهاد.

قصد روما فكان خير مدافع عن المسيحيين في تبريرهم من تم الوثنيين الكاذبة. كتب رسالة مطوّلة للملك أنطونيوس عام ١٥٠ يوضح فيها قداسة الديانة المسيحية وطهارة طقوسها ونقاوة عبادتها وبراعة تابعيها ويشرح كيفية تحقيق نبوءات الأنبياء بيسوع المسيح. ثم أورد شرحاً عن طقس المعمودية



+ آباؤنا القديسون

والافخارستيا. في المعمودية «نحن نكرّس ذواتنا لله بتجديد ميلادنا بيسوع المسيح». أما الافخارستيا فلا «يمكن لأحد أن يشترك بها إلا بعد أن يكون اعتقد بتعليمنا وجدّد ميلاده مغتسلاً من آثامه بواسطة ذاك الغسل السماوي وسار بموجب ما علّمه المسيح. فهذا الخبز ليس هو خبزاً عمومياً ولا الخمر هو مشروباً اعتيادياً... نحن نعلم بأنه بقوة الصلاة الحاوية كلماته الإلهية هو جسد الكلمة المتجسد ودمه». وما كتبه القديس يوستينوس في رسالته هذه هو أقدم ما وصل إلينا عن شكل القداس الإلهي في القرون الأولى. هذه الرسالة دفعت الملك إلى منح الكنيسة فترة هدوء وسلام.

اغتنم يوستينوس فترة الهدوء وشرع في تشديد المسيحيين في كل مكان. فزار عدداً كبيراً من المدن وفي أفسس تحاور مع أحد اليهود فأفحمه مبيّناً رداءة اليهودية وعظمة المسيحية. لكن الهدوء لم يدم طويلاً إذ تجددت الاضطهادات مع الملك الجديد مرقس. تحرك الفلاسفة ضد المسيحيين وطلبوا مجادلة يوستينوس. اختاروا أفضل فيلسوف لمنازلة القديس، لكن نعمة الله كانت معه فهزم الفيلسوف وفضح رداًته وخبثه. ثم كتب يوستينوس رسالة ثانية إلى الملك يوضح فيها كذب الفلاسفة ورياءهم. وأورد في هذه الرسالة قصة المرأة الوثنية التي كانت تعيش في سيرة رديئة مع زوجها واهتدت إلى الإيمان المسيحي فصارت تعيش حياة القداسة والفضيلة التي أمر بها الرب يسوع. ولما ابتعدت عن رجلها وشى بها وعرشدها عند الوالي أنها مسيحية. قبض والي روما على المرشد وسأله إن كان مسيحياً، ولما رد بالإيجاب أمر بإخضاعه لأشد العذابات، ولما اعترض أحد الأشخاص على الظلم اللاحق بالمرشد، أُخضع هو أيضاً للعذابات.

غضب الفلاسفة على يوستينوس وحرصوا الملك ضده، فألقى الملك القبض عليه مع ستة أشخاص آخرين. أُحضر الجميع أمام الوالي الذي طلب منهم السجود للآلهة الوثنية. رفض يوستينوس وصحبه الأمر وأعلنوا «اننا نعتزف بإله واحد فقط مبدع جميع الأشياء المنظورة وخالق كل الكائنات... ونؤمن بأن يسوع المسيح ابن الله المنذر به من الأنبياء هو المبشر والواعظ للجنس البشري بالخلاص». وهكذا أعلن الجميع أمام الوالي أنهم مسيحيون ويعبدون الإله الحقيقي ولا يسجدون إلا له. ثم قال الوالي ليوستينوس: «قل لي يا من تدّعي الفصاحة وتظن نفسك حاصلاً على الحكمة الحقيقية، إن كنت، بعد أن تُجلّد بقساوة ويُقطع رأسك، متأكداً ومقتنعاً بأنك تصعد إلى السماء». أجابه يوستينوس: «أرجو، بعد احتمالي ذلك، اني سأحصل على إتمام الوعد والمكافأة المعدّة لأولئك الذين يحفظون بنبات قضايا الإيمان ويتمّمون بأمانة الوصايا التي أوصى بها المسيح». هدّده الوالي مجدداً فأعلن يوستينوس مع رفاقه أنهم مستعدون لتكبد العذابات حباً بيسوع المسيح: «هكذا ننال الخلاص



+ آباؤنا القديسون

لأننا بهذا النوع سنحضر أمامه تعالى بوجه مبتهج ونقف بوجه مبتهج في ديوان فادينا يسوع المسيح الرهيب».

اغتاظ الملك جدا فأمر بجلدهم أولا ثم قطع رؤوسهم. وهكذا حصل فثبتوا بإهراق دمائهم اعترافهم بالمسيح. واهتم بعض المسيحيين بدفن أجسادهم في مكان لائق. كان هذا في سنة ١٦٧. فبشفاعة القديس يوستينوس ورفقته اللهم ارحمنا وخلصنا آمين.